

## المحاضرة 05

عبد الحميد بن باديس 1889 – 1940

هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس، ولد في مدينة قسنطينة ليلة الجمعة الرابع من ديسمبر عام 1889م من أسرة عريقة في المجد مشهورة بالجاه و الثراء العريض. تداول أفرادها العلم منذ آمام طويلة يعود نسبها إلى قبيلة صنهاجة البربرية التي اشتهر منها حكام وقادة وعلماء كبار؛ حفظ القرآن و تعلم مبادئ العلوم، ثم التحق بجامعة الزيتونة وأخذ عن علماءها، منهم الشيخ محمد النخلي القيرواني، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وحصل على شهادة التطويغ ثم عاد إلى الجزائر فتصدر للتدريس بالجامع الكبير بقسنطينة . قصد البقاع المقدسة للحج عام 1913م وعاد في السنة نفسها ليوصل عمله التعليمي. وفي عام 1925 أصدر جريدة المنتقد" التي ما لبثت أن تعرضت للتعطيل من طرف سلطات الاحتلال الفرنسي بعد صدور 18 عددا فقط لكنه عاد فأصدر بعدها "الشهاب" في صيف 1925، والتي تحولت عام 1929 إلى مجلة، وظلت تصدر إلى أن أوقفها بنفسه غداة الحرب العالمية الثانية عام 1939.

وفي عام 1931 تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كان له الفضل الكبير في إخراجها للوجود، وانتخب رئيسا لها، وأسهم في إصدار جرائدها التي كان الاستعمار الفرنسي لها بالمرصاد، ومنها "الشريعة" و "السنة المحمدية" و "الصراط" و أخيرا "البصائر".

كان عالما فاضلا، مفسرا، محدثا، مصلحا دينيا واجتماعيا، مربيا، خطيبا مصقعا صحفيا بارعا أديبا بليغا، شاعرا موهوبا على الرغم من قلة شعره.

وهو يعدّ بمجموع مزاياه ومواهبه أحد كبار رجال الإصلاح و التجديد الإسلامي في الجزائر، والزعيم الروحي لثورة التحرير الجزائرية الكبرى، بما قام به من أعمال جليلة في تعليم الأجيال الجزائرية ومحاربة البدع و الخرافات و الضلالات الدينية، والهجوم على الطرقية والمشعوذين و الدجالين، وتأسيس المدارس والنوادي الثقافية، وتطوير الصحافة العربية.

حلاه رفيقه في الإصلاح و التجديد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (ت 1385 هـ 1965 م ) بقوله : "باني النهضة العلمية و الفكرية بالجزائر وواضع أسسها على صخرة الحق، وقائد زحوفها المغيرة إلى الغايات العليا، وإمام الحركة السلفية، ومنتشئ مجلة "الشهاب" مرآة الإصلاح وسيف المصلحين ومربي جيلين كاملين على الهداية القرآنية و الهدى المحمدي وعلى التفكير الصحيح ومحي دوارس العلم بدروسه الحية ومفسر كلام الله على الطريقة السلفية في مجالس انتظمت ربع قرن، وغارس بذور الوطنية الصحيحة وملقن مبادئها، علم البيان، وفارس المنابر، الأستاذ الرئيس الشيخ عبد الحميد بن باديس، أول رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأول مؤسس لنوادي العلم و الأدب وجمعيات التربية و التعليم".

من آثاره "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" الشهير بتفسير ابن باديس في تفسير القرآن الكريم ، و"العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية"، ومجموعة كبيرة من المقالات الصحفية جمعها عمار الطالب في أربعة أجزاء بعنوان "ابن باديس حياته وآثاره"، ثم أضافت إليها وزارة الشؤون الدينية بالجزائر بعض الآثار التي لم تجمع ونشرتها في ستة أجزاء بعنوان "آثار الإمام عبد الحميد بن باديس".

وقد فسر ابن باديس القرآن الكريم كله في دروسه المسجدية في ربع قرن من 1913 إلى 1939 واتبع فيه منهجا يعد في شكله العام امتدادا للمنهج الإصلاحى الذي ظهر على يد جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده، ورشيد رضا و الذي يراعى مقتضيات العصر ومتطلباته، ويحاول أن يربط بين كليات الإسلام وروح الحياة المتجددة لوضع أسس النهضة الجديدة التي كانت تشهدها الجزائر خاصة و العالم الإسلامى عامة .

كما اعتمد كذلك في تفسيره على القرآن الكريم نفسه و السنة النبوية وأصول البيان العربى وجمع إلى ذلك كله موهبة خاصة، وذوقا مرهفا في فهم مقاصد الكتاب الكريم و التعامل معه

وهذا ما أشار إليه الإبراهيمي في تصديره لتفسيره في قوله : "كان للأخ الصديق عبد الحميد بن باديس رحمه الله ذوق خاص في فهم القرآن كأنه حاسة

زائدة خص بها يرفده- بعد الذكاء المشرق و القريحة الوقادة و البصيرة النافذة- بيان ناصع، واطلاع واسع وذرع فسيح في العلوم النفسية و الكونية ، وباع مديد في علم الاجتماع، ورأي سديد في عوارضه وأمراضه . يمد ذلك كله شجاعة في الرأي ، وشجاعة في القول، لم يرزقهما إلا الأفذاذ المعدودون في البشر، وله في القرآن رأي بنا عليه كل أعماله في العلم، والإصلاح و التربية و التعليم ، وهو أنه لا فلاح للمسلمين إلا بالرجوع إلى هدايته والاستقامة على طريقته وهو رأي الهداة المصلحين من قبله " .

ولم يهتم ابن باديس بتدوين تفسيره لاشتغاله بتكوين الرجال و تربية الأجيال قبل تأليف الكتب: "وكان يرى- حين تصدى لتفسير القرآن - أن تدوين التفسير بالكتابة مشغلة عن العمل المقدم، لذلك أثار البدء بتفسيره درسا تسمعه الجماهير فنتعجل من الاهتداء به ما يتعجله المريض المنهك من الدواء وما يتعجله المسافر العجلان من الزاد" .

توفي في قسنطينة يوم 16 أبريل 1940 بعد أن فرضت عليه السلطات الاستعمارية الإقامة الجبرية بسبب رفضه تأييد وجهة النظر الفرنسية في الحرب العالمية الثانية.